

الموصل في العهد الأتابكي

تأليف
سعيد الديوه جي

1434هـ = 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت الموصل - على عهد الدولة الأتابكية - من أمهات المدن في العالم الإسلامي، تقدمت فيها العلوم والمعارف، وازدهرت فيها الصناعة والتجارة والزراعة، وتوسعت فيها العمارة، حتى صارت إحدى بلاد الدنيا العظام. وكانت جيوشها من أقوى الجيوش التي صدت زحف الصليبيين عن الهلال الخصيب، وكسرت شوكتهم بعد أن توغلوا في البلاد. ولم تزل في الموصل آثار شاخصة، وفي متاحف العالم تحف فريدة، تشهد بما بلغت الصناعة من الدقة والإبداع في ذلك العهد. ورأينا من المفيد أن نؤلف كتاباً مجملاً، نصف به ما كانت عليه المدينة من التقدم والازدهار، ونعرف بآثارها وخططها القديمة، ونؤمل أن يجد فيه القارئ وصفاً حقيقياً لما كانت عليه "أم الربيعين". ونحمد الله الذي وفقنا لهذا، ونسأله العون، إنه سميع الدعاء.

الموصل: 11/ رمضان / 1377

31 / آذار / 1958

سعيد الديوه جي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

الموصل في العهد الآتابكي من الكتب التي أصدرها الوالد سعيد الديوه جي - رحمة الله عليه - في الخمسينات من القرن الماضي، ذلك أن معالم الآثار الآتابكية لا زالت شامخة في مدينة الموصل من مدارس ومساجد ودار إمارة وآثار مختلفة أخرى، تتجسد فيها المعاني العظيمة التي مرت بها هذه المدينة العريقة أبان الفترة الآتابكية.

وقد كان الوالد حريصاً كل الحرص في إعادة نشر الكتاب ثانية، وبخاصة وأن فترة الأربعين سنة بين إصدار الطبعة الأولى وهذه الطبعة ليست بالقصيرة، فقد جمع الوالد وأضاف وأعاد صياغة العديد من الفقرات المتعلقة بالفترة الزمنية هذه، وبما يسره الله سبحانه وتعالى له، فكان حريصاً أشد الحرص على إعادة نشره ثانية ويشير إليّ إلى مكان الكتب التي يود إعادة نشرها، والتي ركنت في الطرف الأيمن من منضدة مكتبته.

وقد أشار الوالد في كتابه الى مجموعة من التحف والمقتنيات والمخطوطات والتحف المتواجدة في مكتبات ومتاحف العالم، ولم يتيسر في حينها من عرضها، وبخاصة وأن الكتاب صدر في الخمسينات من القرن الماضي، وقد تيسر لنا الحصول على العديد من هذه المقتنيات من خلال وسائل الاتصال والنشر الحديثة وعلى نحو جيد، وقد أشرنا الى بعض منها

في الكتاب هذا، لكننا فضلنا نشرها وبتفاصيل أكثر في كتاب "أعلام الصنّاع المواصلّة" والذي - وبعون منه تعالى - أنجزنا تنزيده وإعداده وسيصدر قريباً بعد هذا الكتاب.

والذي دفعني لنشر هذا الكتاب: الأهمية التي تتناول هذه الحقبة الزمنية التي مرت على مدينة الموصل أولاً، وما حصل من تجاوز على حقوق النشر من قبل البعض، فبعد أن أقرت الدراسات العليا في الجامعات العراقية وبدأ الطلبة باختيار الموضوعات التاريخية التي تمكنهم من الحصول على الشهادة العليا: الماجستير والدكتوراه ظهرت العديد من الرسائل والأطروحات التي تتناول الفترة الأتابكية، وكان الوالد خير عون لمن يقصده للحصول على وثائق أو معلومات في مجال معرفته واهتماماته، وقد أهدى العديد من الطلبة نسخة من جهدهم للوالد، مشيرين بها ما استفادوا من ملاحظات ونصوص وفقرات من الوالد.

ومن الذين اتصلوا بالوالد وتناولوا الفترة الأتابكية، السيد رشيد الجميلي من جامعة بغداد، والذي حضر دراسته لنيل شهادة الماجستير من جامعة الإسكندرية في مصر سنة 1968م بإشراف الدكتور عبد العزيز سالم، وتحت عنوان: "دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين 541-631هـ"، والتي جاءت على نحو استاء منها الوالد، لما ورد فيها من إشارات واقتباس من كتاب الوالد "الموصل في العهد الأتابكي"، فقام الوالد بكتابة رد مفصل حول النقاط التي وردت في رسالته، وما فيها من تجاوزات، وفي وقتها علم الدكتور الجميلي بالأمر وطلب من الوالد أن لا يقوم بنشرها، وفعلاً فقد امتنعت مجلة الأقالام في حينها من نشر المقال، لكن الوالد أوصاني بأن

أنشر الرد هذا في كتابه إذا وفق الله تعالى في إعادة نشره، وها أنا أوفي بطلبه وأنشر الرد كما كتب بخط الوالد - رحمة الله تعالى عليه.

من جهة ثانية فإن النسخة المعدلة فيها من الإضافات والتعديلات ما تحتاج إلى الجهد الكبير، ولله الحمد فقد أبدى الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة - الأستاذ في قسم التاريخ في كلية الآداب في جامعة الموصل - كل الاستعداد في مساعدتي في الاستفسار عن العديد من الفقرات التي كتبت بخط الوالد وعلى متن الصفحات في النسخة المعدلة، فجزاه الله خير الجزاء.

التعقيب الذي كتب ولم ينشر

التعقيب الذي كتبه الوالد سعيد الديوه جي كان كالآتي:

الأستاذ الجميلي - كما ذكر هو في الموصل عند مناقشته أحد طلاب الماجستير في كلية الآداب في جامعة الموصل أن أستاذه أشار عليه أن يراجع الأستاذ الديوه جي - كما يلفظه أهل مصر، ويستعين به في بحثه، فراجعني في متحف الموصل، وناقشته في بحثه وأهديته كتابي "الموصل في العهد الأتابكي" وكان مصدره المعول عليه، نقل عنه الكثير وأشار إلى المصادر التي أخذ عنها، وذكر في مقدمة كتابه أنه لاقى صعوبة في العثور على النصوص القليلة التي تؤيد بحثه - مع أنها كلها في كتابي، نقلها ونسب أكثرها إليه للمصادر التي أخذتها.

دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين

631-541هـ

للأستاذ رشيد الجميلي

رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قدّمها المؤلف، وحاز على مرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب - جامعة الإسكندرية في تموز سنة 1968، وأشرف على الرسالة الدكتور عبد العزيز سالم أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد بجامعة الإسكندرية، طبعت الرسالة في دار النهضة العربية للطباعة والنشر في بيروت سنة 1970 (ص:390)، وساعدت جامعة بغداد على طبعتها.

قدم الرسالة الأستاذ المشرف الدكتور عبد العزيز سالم، وهو معجب بها، لأنها نالت مرتبة الشرف بإجماع أعضاء لجنة المناقشة، ولأن البحث الذي طرقه الأستاذ الجميلي لم يُعره المؤرخون المحدثون، فإنه تناول التاريخ الإسلامي للدولة الأتابكية، وأفرد القسم الثاني من رسالته لدراسة حضارة الموصل في العصر الأتابكي، مستعرضاً نظم الحكم والإدارة، وتخطيط الموصل، وأهم منشآتها المعمارية، ثم انتقل إلى عرض صورة المجتمع الموصل في الفترة المذكورة بطبقاته وعاداته، ثم تناول الوضع الاقتصادي من حيث الجهود التي بذلها الأتابكة في المجالين الزراعي والصناعي، واختتم رسالته بفصل بحث فيه تطور الحركة العلمية في الموصل، مع الاهتمام بوجه خاص بالمؤسسات التي أسهمت في النهوض بالحياة العلمية كدور الحديث والمدارس والأربطة، وهو بذلك قد هيا المجال، لكي تقتنيها المكتبات العربية في مختلف أنحاء العالم العربي، فيفيد منها الباحثون وأولو العلم - هذا ما قاله الأستاذ المشرف عن الرسالة.

من المصادر التي أخذ عنها المؤلف هو كتابنا "الموصل في العهد الأتابكي" ولا ندري هل أن الأستاذ المشرف اطلع عليه قبل مناقشة الرسالة؟

أم إنه لم يطلع عليه، ورجائي أن يتفضل بالرجوع إلى كتابي هذا، فإنه يجد الأبحاث التي أعجب بها الأستاذ المشرف مما يحويه الكتاب المذكور، وبصورة أكثر تفصيلاً، كما أن المؤلف سلك نفس التبويب التي سلكته في كتابي - ما عدا الحالة السياسية في الدولة -.

ويقول الأستاذ الجميلي (ص:10) من كتابه "وموضوع دولة الاتابكة في الموصل، لم يحظ بعناية المؤرخين المحدثين، باستثناء شخصية عماد الدين زنكي وولده نور الدين محمود، وعلّق في الحاشية عن كتاب الدكتور عماد الدين خليل الذي بحث فيه عن عماد الدين زنكي، وكذلك تناول الأستاذ سعيد

الديوه جي تاريخ الموصل في العهد الاتابكي، وأولى اهتماماً خاصاً بالناحيتين العلمية والعمرانية في كتابه "الموصل في العهد الاتابكي، ط بغداد، 1958" وبحوث أخرى عديدة عالج فيها النواحي العمرانية والاقتصادية"، والذي أرجوه من الأستاذ المؤلف أن يعيد النظر في كتابي المذكور، فإنه سيجد كافة الأبحاث التي تكلم عنها مبسطة في كتابي، بل إن بعض أبحاثه كانت مختصرة لما كتبه، وإنه لم يأت بجديد عن هذه الدولة - ماعدا الناحية السياسية، فإنه اتبع طريقة جميلة فبسط علاقتها مع الدول المعاصرة لها، ومع الصليبيين - وأما ماعدا هذا فأبحاثه لم تخرج عما تناولته في كتابي الذي استعان به، بل إنه قصّر في بعض المباحث التي تجدها في كتابي.

ولا أريد أن أطيل مناقشة المقدمة، وأود أن أبين بعض الملاحظات عن الرسالة المذكورة.

1. في (ص:57) ثبت موقع مدينة "الحديثة" في المخطط الذي وضعه غربي دجلة قرب مصب الزاب الأسفل في دجلة، والصحيح أنها تقع شرقي دجلة قرب "تل كشّاف" الذي يقع قرب التقاء الزاب الأعلى في دجلة- ولم تزل أطلالها واضحة.

2. ذكر في (ص:97) "باب السر من أبواب قلعة الموصل، وأنه يؤدي إلى نهر دجلة، ولم يشر إلى المصدر الذي أخذ عنه، وهذا مما حققته ونشرته في (سومر: 10: 100) وكذا في كتابي "الموصل في العهد الآتابكي" (ص: 119).

3. جاء في (ص:255) عند كلامه عن جيش الدولة الآتابكية "فقد كان الأتراك من بين كل الشعوب الآسيوية هم الذين يخشاهم الفرنج أعظم خشية، ويكنون لهم أشد الإعجاب، وذلك بسبب صفاتهم العسكرية وأساليبهم التكتيكية." ولم يذكر مصدراً أولاً يؤيد هذا، والذي ذكره المؤرخون أن الأكراد العدوية أبلوا بلاءً حسناً فيها، وكانوا في طليعة جيوش المسلمين في الدفاع عن الشرق، وكان الصليبيون يخشونهم حتى قالوا في المسلمين الكرد، وفي النصارى الكرج.

4. وجاء في (ص:265) عند كلامه عن الباب العمادي "وقد أمر عماد الدين زنكي بفتح الباب العمادي الذي كان يصل المدينة

بالربض الأعلى"، وأشار بهذا إلى الباهر (ص:78)، وأن ما جاء في الباهر عن عماد الدين "وهو الذي فتح الباب العمادي وإليه ينسب، وأن الباب العمادي كان يصل الميدان بالربض الأعلى، والميدان ظاهر في المدينة، يفصله عنها السور الذي بناه العقيليون وجدده السلاجقة.

5. جاء في (ص:266) ذكر "حي الجصاصة في الموصل"، ولم نعر على نص يذكر بوجود حي في المدينة يسمى "حي الجصاصة"، كما إنه لم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه، والذي ذكره المقدسي أن في الموصل شارع الجصاصة، وشارع الجصاصين، وهذا لا يعني وجود "حي الجصاصة".

6. جاء في (ص:267) عن الميدان "يقع الميدان في المنطقة المحصورة ما بين السور العقيلي والسور الاتابكي، والميدان عبارة عن أرض واسعة خالية من العمارة، قد اتخذها الأتابكيون ميداناً للجيش، يعرض فيه ألعابه وتدريباته، وكان بوسط الميدان كشك، فيه غرف يشرف منها الأتابك على أعداد العساكر وتهيئتها للقتال"، ولم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه هذا، ولكنه ختم هذا بما نقله عن الباهر (ص:186)، إن عز الدين مسعود لمّا عاد من جزيرة ابن عمر سنة 587 نزل في الغرفة التي في الكشك، موهماً أن البحث كله منقول من الباهر - مع أنه منقول من كتابي

(ص:116)، ومن الأمانة العلمية أن يشير إلى المصدر الذي نقل عنه.

7. وجاء في (ص: 267) عند كلامه عن دور المملكة، "وهي الدور التي اتخذها أمراء الموصل ورجال دولتهم المقربين سكناً لهم" وأشار بهذا إلى التاريخ (ص:218)، وكتابي (ص:117)، وإذا رجعنا إلى الكتابين المذكورين لم نجد فيهما ما ذكره من أن رجال دولتهم المقربين كانوا يسكنون دور المملكة.

8. وذكر في (ص:268) عن دور المملكة أيضاً "وكان أول من أنشأ داراً للإمارة في هذا الموقع على دجلة هم الحمدانيون، ثم تبعهم بنو عقيل الذين شيدوا دورهم في نفس الموقع، ثم جاء بعدهم السلاجقة وساروا على هذا النهج، وشيدوا دار السلطنة، وهي الدار التي نزلها عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الأتابكية، ثم أذن للأmir ناصر الدين بوري أن يبني داراً بالقرب من دور المملكة ليكون قريباً من خدمته"، وأشار بهذا أنه نقل من الباهر (ص: 66)، وإذا رجعنا إلى الباهر فإننا لا نجد سوى ما ذكره عن ناصر الدين بوري، وإذا رجعنا إلى (ص:117) من كتابي نجد أنه قد نقل هذا عنه، ولم يشر إليه.

وجاء في (ص:268) عن نفس الدار "ثم أمر عماد الدين ببناء دور المملكة غير دار الملك التي تقابل الميدان"، وغاب عنه أنه ذكر في نفس الصحيفة أن عماد الدين نزل في دور السلطنة السلجوقية، وهي نفس الدار التي أعاد بناءها ووسعها.

9. وتكلم في (ص:269) عن شوارع الموصل ودروبها، فنقل عن كتابي ما جمعته وحققته عنها، وأشار إلى المصادر التي أخذت عنها، وأهمل ذكر كتابي، حتى إنه نقل ما هو مطبوع خطأ في كتابي، ولم يكلف نفسه عناء الرجوع إلى الخطأ والصواب، فيصلح الخطأ منه، بل نقله كما وجده، ومن ذلك ما ذكره عن درب "رحى أمير المؤمنين" والصحيح إنه درب الدير الأعلى"، فلو إنه أخذ عن المقدسي-كما أشار عند ذكر الدروب- لنقل درب الدير الأعلى، وهو أول الدروب التي ذكرها المقدسي. كما ذكر "درب أمير المؤمنين" والصحيح درب رحى أمير المؤمنين كما ذكره المقدسي. وبهذا ذكر الدرب مكرراً.

10. وفي (ص:270) تكلم عن الجامع الأموي، ونقل عن البلاذري أن الذي بناه هو هرثمة بن عرفة البارقي، والصحيح هو "عرفة بن هرثمة البارقي" وهو الذي تولى الموصل سنة 20هـ، وصار أولاده يعرفون بالهرثمة، فالتبس الأمر على بعضهم فظنوا إنه من أولاد هرثمة بن عرفة البارقي، ولا يوجد صحابي بهذا

الاسم-كما حققناه- والذي بنى المسجد الجامع هو عتبة بن فرقد السلمي سنة 17هـ، وبنى إلى جانبه داراً للإمارة، وقد فصلنا أخبار الجامع في اختلاف العصور بكتابنا "جوامع الموصل" (ص:3-16).

11. ونقل في (ص:274) ما ذكره ابن بطوطة عن النافورة التي زعم إنها كانت في الجامع النوري، ورجّح الأستاذ الجميلي إنها كانت في الجامع النوري -كما ذكر ابن بطوطة- وغاب عن الأستاذ الجميلي إنه ابن بطوطة لم يكتب رحلته بنفسه، وإنما أملاها علي بن محمد بن جزى الكلبي، كاتب السلطان أبي عنان المرني بفاس، وتولى هذا تلخيص الرحلة وترتيبها وتهذيبها، مستعيناً بكتب الرحلات التي وقف عليها، -وخاصة رحلة ابن جبیر- فأكمل الناقص عنها، وعلى هذا فإن أكثر ما جاء في رحلة ابن بطوطة عن الموصل منقول عن رحلة ابن جبیر، وابن جبیر يصف ما رآه بنفسه، وأما ابن جزى فإنه دوّن ما سمعه من ابن بطوطة، وابن جزى يذكر في أول الكتاب "إن ابن بطوطة نسي بعض ما كان بفكره"، يؤيد لنا هذا إن ابن بطوطة زار الموصل في القرن الثامن للهجرة، وأكثرها خراب، وقد فتك بها هولاكو ومن بعده، وابن جبیر زارها في القرن السادس للهجرة -وهي في أوج عزها وعمرانها، ولذا فإن وصفها في ابن بطوطة يشبه ما في ابن جبیر لأنه منقول عنه.

وعلى هذا فإن ما ذكره ابن بطوطة عن النافورة لا يؤخذ بنظر الاعتبار،
وإنها كانت في الجامع الأموي-كما ذكر ابن جبير- الذي يصف عن
مشاهدة.

12. وتكلم في (ص:286-287) عن الرباطات في الموصل،
ولم يتعد في بحثه ما ذكرته في (ص:155-158) من كتابي، فنقل
النصوص واختصر الأخبار-مع إنها الأكثر تفصيلاً في كتابي-،
ونسب رباط "قصر حرب" لعز الدين بن الأثير-مع إني نقلت عن
ابن خلكان (1: 441) ما ذكره "إن الرباط هو لأبي السعادات فقال
"وأنشأ رباطاً بقربة من قرى الموصل تسمى قصر حرب، ووقف
أملاكه عليه، وعلى داره التي يسكنها في الموصل.

وأما ما نقله عن عز الدين بن الأثير عن قصر حرب" وعنده يومنا هذا قرية
كانت ملكاً لنا فبنينا رباطاً للصوفية....."، فإنه يشير إلى أسرته أبناء
الأثير، لا إلى نفسه، وأبو السعادات أكبرهم سناً وهم ملتفون حوله.

13. وتوهم في كلامه عن سور الموصل (ص:279-280)
"وأصبح للموصل سورين أحدهما من بناء الأمراء السلاجقة، والثاني
من بناء زنكي"، ونسب هذا إلى كتابي- والذي ذكرته أنا إنه كان
في للميدان سوران- وليس للبلدة- فالميدان غير المدينة- وكان بين
السور الذي بناه العقيليون وجدده السلاجقة، والسور الذي حفه به

زنكي من الناحية الشمالية، ويمتد من دور المملكة إلى القلعة إلى باب سنجار- كما إن ما ذكره من وصف ابن بطوطة لسور الموصل، فلا يؤخذ بنظر الاعتبار، لأنه عندما زارها كان أكثر السور قد خرب، وما في الرحلة منقول عن ابن جبير -كما قدمنا-.

14. وذكر في (ص:282) "وكان للقلعة أبواب، منها الباب المعروف بباب القلعة، وهو يؤدي إلى الميدان الذي وسط البلد، ثم باب الجسر، وهو من أمنع أبوابها، ولم يذكر المصدر الذي أخذ عنه، وهذا ما حققته في كتابي (ص:119)، وجاء في نفس عبارته إن الميدان وسط البلد، والميدان في شمال البلد لا في وسطها.

15. وذكر في (ص:283) "وكان في الموصل عدد من القلاع بنيت في القلعة أدوار مختلفة، أقدمها الحصن الآشوري الذي كان يعلو تب قليعات، ثم القلعة التي بنيت في القرن الرابع للهجرة، ثم الحصن الذي وصفه المقدسي". ولم نعثر على نص يذكر بناء قلعة في القرن الرابع عشر للهجرة، والحصن الآشوري هو الذي وصفه المقدسي.

16. وجاء في (ص:284) عن قبيلة تغلب "هي من وائل بن ربيعة من العدنانية، وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين، وتعرف ديارهم بديار ربيعة"

ديار ربيعة في جزيرة آقور ومنها سنجار وتمتد إلى نصيبين - وليس
في الجزيرة الفراتية- فأين هو الفرات من هذا الديار؟

17. وذكر في (ص: 285) ما نقله عن ابن حوقل
(ص:195) "وسكن سنجار قوم من العرب من قشير وعقيل ونمير
وكلاب"، وإذا رجعنا إلى ابن حوقل نجد هذا عن سنجار، وإنما ذكر
عن الحيال "تقرب سنجار بين شمالها وغربها" يسكنه قوم من
العرب، قاطنين فيه محفزين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب"
هذا ما ذكره ابن حوقل.

18. وتكلم في (ص:285) عن الأكراد والتركمان في الموصل
وقال "كان يسكن الموصل وما يليها في العصر الأتابكي أقوام من
الأكراد. فقد ذكر ابن حوقل أن معظم سكان الموصل في زمنه-
القرن الرابع الهجري- ينتمون إلى الأكراد الهذبانية والحميدية
واللارية".

ونقل عن ابن حوقل (ص:195) أن معظم سكان الموصل أكراد، وإذا
رجعنا إلى ابن حوقل نجده يقول عن الموصل "وأهلها عرب، ولهم بها
خطط، وأكثرهم ناقلة البصرة والكوفة.. ولها بواد وأحياء كثيرة تصيف
في مصايفها وتشتو في مشاتيها من أحياء العرب، وقبائل ربيعة ومضر

واليمن، وأحياء الأكراد كالهذبانية والحميدية واللالية - هذا ما قاله ابن حوقل عن الموصل وما إليها -

وعلى هذا فإن ما ذكره ابن حوقل "إن سكان الموصل كانوا عرباً وفيهم أكراد، وإن في بواديها قبائل كثيرة من العرب والأكراد - وهذا ليس له علاقة بالعصر الذي بينهم -".

19. وذكر في (ص: 286) "كذلك كان الأكراد ضمن قوات الجيش الأتابكي، وكان منهم الأمراء والقادة في المناطق التابعة لأتابكية الموصل وخصوصاً سنجار والقلاع الكردية". وفات الاستاذ الجميلي أن الأكراد كان لهم دور بارز في الحروب الصليبية في بلاد الشام والجزيرة ومصر، وكان منهم الملوك والقادة، ورجال الإدارة والقضاء، ولهم مواقف جلية، منها فتح بيت المقدس على يد البطل صلاح الدين الأيوبي.

20. وتكلم في (ص: 287) عن ديارات الموصل والجزيرة، ونقل عن الشابشتي وياقوت الحموي، إن أكثر الديارات التي ذكرها لم تكن موجودة على عهد الدولة الأتابكية، بل إن بعضها قد عفى أثرها منذ زمن الشابشتي - القرن الرابع للهجرة - ولكنه تكلم عنها جميعاً كأنها موجودة في العصر الأتابكي، والذي بقى منها إلى ذلك العصر هي التي في كتابنا (ص: 172-174).

وفي كلامه عن الحياة الاجتماعية في الموصل، لم يتعد ما كتبناه بصورة مفصلة عنها، بل إنه اختصر بعض ما كتبناه، وأشار إلى كتابي في بعض المواضيع، وكان يشير إلى المصادر التي أخذت عنها كثيراً ما، كأنه هو الذي بحث عنها في مضامينها، وكأنه لم يجدها أمامه في كتابي - ولا أدري لماذا أخذ بعض المواضيع، وأعرض عن بعضها - وهي لا تقل في الأهمية عما أخذها، مثل الشواريق، ونصب الخيام في الربيع، والألعاب: الكرة والصولجان والفتوة وألعابها، وخيال الظل، وخاصة وإن ابن دانيال الموصلي، نقل هذا التمثيل الهزلي من الموصل إلى مصر، واشتهر بها، ولم يتكلم عن الطرق الصوفية وما كان لها من تأثير في المجتمع - كل هذا - وما تكلم عنه - مبسوط في كتابي (ص 75-90).

21. في (ص: 293) "كذلك كان بعض المرضى والمقعدين من أهل الموصل يقصدون دير الأعلى من أديرة الموصل، لرقّة هوائه، وللتغلب على أمراض الجلد والحكة والبثور، بسبب كثرة المعادن الكبريتية والمرقشينا والفلطار، وهي من معادن تبرئ من هذه الأمراض الجلدية، وأشار بهذا إلى ياقوت في مادة "دير".

لقد التبس على الأستاذ الجميلي ما ذكره ياقوت عند كلامه عن الدير الأعلى، مع العلم إن الدير الأعلى لم يكن موجوداً على عهد الدولة الأتابكية، ولم يبق مله أثر منذ القرن الرابع للهجرة، وياقوت نقل عن

تقدمه، وذكر بعد كلامه عن الدير الأعلى "وظهر تحته سنة 301هـ عدة معادن كبريتية ومرقشينا ولفطار، ويزعمون إنها تبرئ من الجرب والحكة والبثور، وتنفع المقعدين والمرضى، هذا ما ذكره ياقوت وقد نقله عن الشابشتي.

والمنابع التي ذكرها هي تحت التل الذي كان عليه الدير الأعلى وهي عدة منابع كبريتية، يسمونها عين كبريت، يستشفى أهل الموصل وغيرهم بها

- وعلى هذا فلا الدير كان موجوداً في العهد الأتابكي، وعين كبريت ليست في الدير الأعلى. بل هي تحته على دجلة ولم تزل مقصودة من الناس.

22. وتكلم في (ص:298) عن الزراعة في الموصل، وذكر "تدهورت الزراعة في الموصل قبل قيام الدولة الأتابكية، وترجع أسباب هذا التدهور إلى اهتمام السلاجقة بمشاريع الري التي تخدم الزراعة من شق الترعة، وتوصيل المياه من دجلة إلى المزارع والبساتين، مما أدى إلى ندرة الحاصلات الزراعية، فاضطر أهلها تبعاً لذلك الاعتماد على الوارد والحصول..". فهل إن أسباب تدهور الزراعة يرجع إل اهتمام السلاجقة بمشاريع الري التي تخدم الزراعة من شق الترعة وتوصيل المياه من دجلة إلى المزارع!!!، ما ذكره يؤدي بالنهوض بالزراعة -لا تدهورها-.

إن زراعة الموصل تعتمد على الأمطار، فالحبوب تزرع ديماً تسقيها الأمطار، وينهض بها الأمان والاستقرار في البلاد، وهي لا تحتاج إلى شق الترع من دجلة -كما إن الآتابكيين لم يشقوا ترعة أو يفتحوا جدولاً- وإنما أبقوا الأراضي بأيدي أصحابها يعملون بها آمنين مطمئنين، فنشطت الزراعة- وهكذا كانت في القرن الرابع للهجرة أيضاً- فقد ذكر المقدسي عنها "منها ميرة بغداد، وإليها قوافل الرحاب، وله مفازة وخصائص، وثمار حسنة، وحمامات سريه، ودور بهية، ولحوم جيدة، وأمور جامعته غير إن البساتين بعيدة، وريح الجنوب مؤذية، وماء النهر بعيد المستقى- وأما البساتين في الموصل فهي في اختلاف العصور قليلة، تأتيها الفواكه من الجبال القريبة لها- ولم تزل كذلك-.

23. وما ذكره عن مدارس الموصل، فإنه لم يتعد ما ذكرته في كتابي، فقد فصلت فيه ما جاء عنها، وما أوقف فيها، ومن درس وأعاد فيها، وإنه أخذ مجمل ما ذكرته، وأشار إلى المصادر التي أخذت منها -كما إنه أهمل ذكر بعض المدارس، وهي لا تقل في أهميتها عن التي ذكرتها-.

وجاء في (ص:315) عند كلامه عن اهتمام الآتابكيين بالعالم قال: "وقلما نجد منهم ملكاً لم يؤسس معهداً علمياً في الموصل، أو غيرها من البلاد التابعة لهم، وقد سار على ذلك رجال دولتهم"، وأشار بهذا إلى (ص:166) من كتاب منية الأدباء الذي كنت قد نشرته وعلقت عليه

سنة 1955م، وإذا رجعنا إلى الكتاب لم نجد ما ذكره، وإنما هو منقول من كتابي "الموصل في العهد الاتابكي" (ص:95).

وما ذكره عن مدرسة الجامع النوري (ص:316) من كتابي (ص:138)، ولكنه أشار إلى البداية والنهاية (12: 263).

وما ذكره عن المدرسة العزية، فإنه من كتابي (ص:141)، وكذا ما جاء عن المدرسة النورية، فهو من كتابي (ص:142-143)، وكذا المدرسة القاهرية وغيرها - ولكنه لم يشر إلى المصدر الذي اعتمد عليه، بل أشار في الكثير منها إلى المصادر التي أخذت عنها -.

ذكر عن المدرسة الزينية أنها بجوار مسجد زين الدين، الذي عرف فيما بعد بالمدرسة الكمالية - وأشار بهذا إلى (ص:136) من كتابي، وهذا ما لم نجده في كتابي، وإني لم أتمكن من تعيين محلها، وإنما ذكرت أنها غير مسجد زين الدين الذي عرف فيما بعد بالمدرسة الكمالية.

24. وتكلم في (ص:320) وما بعدها عن علماء العصر الاتابكي، وذكر عن أسرة الأثير أنها أسرة عز الدين بن الأثير - وهو خطأ -، فالأسرة تنسب لأبيه "الأثير"، ومنه كان أبنائوه وأحفاده، وبعد إن عدد بعض الأسر التي ذكرتها، أهمل بعضها، وهي لا تقل في الأهمية مثل: أبناء بلداجي، وأبناء مهاجر، كما أهمل كثيراً من

الأعلام المواصله، وذكر من لم يكن موصلياً كابن خلكان، وياقوت الحموي.

بعد هذا ختم كتابه: "أما من الناحية الحضارية فقد أبرزنا دور الموصل في الحضارة الإسلامية نتيجة للرعاية التي أولاها أتابكتها لمختلف أوجه النشاط الحضاري علمياً وعمرانياً واقتصادياً.

هذا ما بدا لي أن أعرضه للأستاذ المشرف، وللأستاذ الجميلي إظهاراً للحقيقة، وعلى الباحث أن يستعين بما كتب، ولكن الأمانة العلمية تقض على كل باحث أن يذكر المصدر الذي استعان به في بحثه. والله من وراء القصد.

والأستاذ الجميلي زارني للموصل، وأهديته كتابي "الموصل في العهد الأتابكي" رغبة مما كتبه عن الموصل.

هذا ما أردته عرضه في الطبعة هذه، والأمر متروك لذوي الشأن في تقدير الاقتباس - إن صح التعبير - من المصدر الأول: الموصل في العهد الأتابكي، في وقت لم تكن وسائل الاتصال ونشر المعارف والنصوص بالوسائل الالكترونية المتقدمة قد أخذت حيزاً في النشر والطباعة، لكن الحقائق لا تطمس مهما طال الوقت وتباعدت الأيام، وهذا نموذج من النماذج التي سادت الأعمال المؤلفات التاريخية.

لقد أعاننا الله تبارك وتعالى على إعادة نشر هذا الكتاب "الموصل في العهد الأتابكي"، ووفاءً للوالد - رحمة الله عليه - والذي كان يتابع بنفسه صفحات الكتب عند طباعتها، لأجد وقد ترددت في إعادة طباعة الكتاب

ونشره، إلا أن الأوفياء والمخلصين أمثال الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة - وفقه الله تعالى - والذي تابع معي الإشراف والتحرير والتصحيح على نحو يدل على تواضعه ووفائه، فهو لا ينسى جلساته مع الوالد، وملازمته المستمرة في كتاباته الشيقة، فله كل الشكر على ما قدمه من عون، وأدعوه تعالى أن يبارك في عمره وعمله.

ولا أنسى موقف الدكتور منذر خضر المهدي الذي أغناني بمتابعاته وإشرافه المتواصل على طباعة هذا الكتاب والكتب الأخرى، وأصبح يشاركني في العديد من الأمور والملاحظات لما يمتلكه من خبرة عالية في التتضيد تضاف إلى أخلاقه الرفيعة وتواضعه، فبارك الله به وبجهوده.

والشكر للأخ الدكتور أكرم عبد الوهاب، الصديق الوفي وهو كريم في أخلاقه، تربى في بيت علم، فجده الملا يوسف هو أحد الذين أجازهم جدي أحمد الديوه جي، وكان لي الحظ في أن أراه لحين وفاته سنة 1958، وهو ابن محلتنا القديمة محلة باب المسجد، فبارك الله بجهوده وأعماله وتواضعه.

وفي الختام أسأله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، وأن يصل ثواب الكتاب إلى مؤلفه - الوالد رحمة الله عليه - وإن شاء الله تعالى سأستمر في عملي هذا، وإعادة طباعة كل مؤلفاته وأعماله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور

أبي سعيد أحمد الديوه جي

رجب 1435 هـ - مايس 2014 م